اسمه – نسبه

هو الإمام الأجل الزاهد شمس الأئمه وفخر الاسلام محمد بن أحمد بن أبى سهل أبو بكر السرخسي[1] تكرر ذكره فى الهداية الإمام الكبير شمس الأئمه صاحب المبسوط وغيره أحد فحول الأئمه الكبار المعروف بابن الفرائقى وابن الطيب أبو العباس عالم الأرض الرياضى الطبيب الفلكى عاش فى القرن الثالث الهجرى – التاسع الميلادى .وهو القرن الذى كان شهد اكتمال المشروع السياسى للدوله العباسية بعد أن تعاقب على حكمها عدد من الحكام المتنورين وكان أبرزهم المنصو ر [2] بانى بغداد[3] والمأمون[4] والرشيد[5]

وسمي السرخسى نسبة إلى مدينة سرخس[1] فى بلاد خرسان[2] لم يقيدها ابن الأثير[3] بأكثر

---

[1] المكتبة الاسلامية تراجم الاعلام دار المعرفة سنة 1409هـ 1989م ط 5

[2] المنصور هو المهدى محمدبن عبد الله بن محمد الهاشمى العباسى و لى امرة دمشق و قبلها البصرة ودعى للخلافة فى أول دولة المامون و روى عن الوليد بن مسلم و سويد بن عبد العزيز وغيره توفى سنة سته وثلاثين و مائتين . تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير و الاعلام تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى دار النشر دار الكتاب العربى بيروت.الاولي تحقيق د.عمرعبد السلام ترموى ج13 ص170هـ

[3] بغداد أم الدنيا و سيدة البلاد قال أبن الأنبارى اصل بغداد للاعاجم و العرب تختلف فى لفظها أذا لم يكن من كلامهم ولأ أشتقاقها من لغاتهم معجم البلدان تأليف ياقوت بن عبد الله الحموى دار النشر دار الفكر بيروت ج1 ص 455– 443

[4] المامون هو ابن أحمد بن العباس بن محمد بن أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يعقوب بن حسن بن الخليفة المامون البغدادى الواعظ كان يتكلم فى الاعزيه و له حظ من الادب و صوته طيب سمع من ابى الحسن عبد الحق و محمد بن نسيم العيشونى و اجاز للفخر اسماعيل بن عساكر و محمد بن يوسف الذهبى وعاش ثلاثه وسبعين سنه وتوفى فى رابع عشر ذى العقدة فجاه تاريخ الاسلام ج 46 ص 170هـ، معجم البلدان تأليف ياقوت بن عبد الله الحموى دار النشر دار الفكر بيروت ج1 ص 455

[5] هارون الرشيد أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد المهدى بن المنصور بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى البغدادى تولى الخلافة العباسية سنة سبعين و مائه عند موت أخيه الهادى، اعلام النبلاء تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله دار النشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة تحقيق الأر ناؤوط محمد نعيم العرقوسى ج 10 ص 272 – 289هـ

[1] سرخس يفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة وأخره سين مهملة ويقال سرخا بتحريك الأول أكثر هي مدينة من ضواحي خرسان كبيرة وواسعة وهي بين نيسابور ومرو وسط الطريق وقيل سميت برجل من الذكار سكن هذا الموضع

من هذا فى مختصر السمعانى[4] والأعرف فيها فتح الراء واسكان الخاء وقال أيضا باسكان الخاء المعجمه وقيل سمع شيخها و مفتيها يذكرها بفتح الراء فارسية وبإسكانها معربة وقال سمعت ذلك من المعتمدين والثقات والسين على كل حال مفتوحه ولم يضع القاضى أبو بكر بن العربى[1] شيئا قلت كذا رأيت أن السمعانى قيدها باسكان الراء وفتح الخاء المعجمه ولم يقيدها ابن الأثير فى مختصره فيحتمل أن الشيخ نقله من الاصل وهى نسبه شمس الائمة محمد بن أحمد بن أبى سهل أبو بكر السرخسى [2]

وعمره ، وهي في الإقليم الرابع، وقد خرج منها كثير من الإئمة، معجم البلدان تاليف ياقوت بن الحموى ابو على، دار النشر دار الفكر – بيروت ج3 ص209.

[2] خرسان من أكبر المحافظات الإيرانية ومعنى كلمة خرسان مطلع الشمس أو المشرق ويمتاز إقليم خرسان بتنوع جغرافيته وتسرح به أنواع مختلفة من حيوان الصيد المتوحشة وبها جبال سلسة البيرز والبينكالود، معجم البلدان نفس المرجع ج3 ص209.

[3] ابن الاثير الشيخ الامام المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزرى الشيبانى ابن الشيخ الأثير أبى الكرم ، مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ومصنف كتاب معرفة الصحابه، مولده بجزيرة أبن عمر فى سنة خمس وخمسين ونشأ بها ثم تحول أبوه الى الموصل فسمع بها واشتغل وسادا فسمع من الخطيب أبى الفضل الطوسى ويحي ين محمود الثقفى وغيرهم توفى فى الخامس من شعبان سنة ثلاثين وست مئة، سير أعلام النبلاء ج 22 ص 354– 356.

[4] أبو بكر السمعانى هو أبو بكر محمد بن أبى المظفر منصور السمعانى كان فقيها محدثاً حافظاً أديباً وأعظاً مبرزاً جامعاً لا نساب العلوم ويلقب بتاج الاسلام وزاد على أقرانه وأهل عصره وعلم الحديث ومعرفة الرجال واسانيد وحفظ المتون وجمعت فيه إلاخلاق الحميده وتوفى بمرو يوم الجمعة ثانى من صفر سنة عشرة وخمسمائه وله ثلاث وأربعون سنه، طبقات الفقهاء ج1 ص 250.

[1] القاضى أبوبكر بن محمد بن عبد الله بن العربى العلامه أبو الفضل القشيى البصرى المالكى سمع المؤطا من أحمد بن موسى السامى وسمع من أبى مسلم الكحى وحكى عن سهل التسترى وصنف التصانيف فى المذهب وسكن مصر ومؤلفه الأحكام فى القران نفيس وألف فى الرد على الشافعى، توفى فى ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاث مئة هجرية فى مصر، سير أعلام النبلاء ج15 ص 538.

[2] تمت ترجمته ـ المكتبة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص315.

المطلب الثانى

مولده ونشاته

ولد السرخسي فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى فى شوال سنة 465هـ بمدينة سرخس بخرسان ونشأ بها وتلقى تعليمه الأول فى بخارى [1] وأن بخارى فى ذلك الزمان كانت مدن العلم قاربت فى منزلتها الكوفة وبغداد في إبان عظمتها من مشايخها الأحناف حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئْ الرياضيات وإلتزم شيخ الإسلام على بن الحسين بن محمد السعدى [2] كما إلتزم الشيخ العلامه رئيس الحنفية شمس الائمه الأكبر أبو محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخارى الحلوانى [3] من أهل بخارى إمام من أصحاب أبى حنيفة بها وروى عنه السرخسى وبه تفقه وعليه تخرج وانتفع وكلاهما كان فقهياً نظاراً يروى الحديث ويضبط الاقيسه الفقهيه وقد آل إليه من بعدها الدفاع عن هذا المذهب الجليل.

وفى هذا الوسط وفى تلك المناظرات نشأ محمد بن ابى سهل السرخسى الذى عرف فيما بعد بشمس الائمه وهو اللقب الذى خلفه فيه شيخه شمس الأئمه الحلوانى اجلس على كرسيه وتولى من بعده رئاسة الحنفيه فى بخارى ورئاسة مشتقة من العلم لا بالتعين من الدوله ثم شد الرحال الى بغداد وسعى لتلقى

---

[1] بُخارى بالضم من أعظم مدن ماوراء النهر وبخارى إسمها بومجكس وهي مدينة على أرض مستوية، وصفت بخارى للمسلمين وينسب إليها خلق كثير من أئمة المسلمين في فنون شتى، منهم إمام الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برزدية وبرزدية هو مجوسي أسلم على يد بامان البخاري والي بخارى وبامان هذا هو أبو جِد عبد الله إبن محمد المسندي الجحفي ولذلك قيل لبخارى جحفي وغيرهم ، معجم البلدان، ج1، ص 356.

[2] على بن الحسين بن محمد السعدى القاضى ابو الحسين الملقب بشيخ الاسلام وكان إماماً فاضلاً فقيهًا مناظراً وسمع الحديث روى عنه شمس الائمة السرخسى توفى ببخارى سنة احدى وستين واربعمائة، ومن تصانيفه النتف فى الفتاوى وشرح السير الكبير– طبقات الحنفية ج 1 ص362 .

[3] عبد العزيز بن احمد بن نصربن صالح الحلوانى الملقب بشمس الائمة من اهل بخارى امام من اصحاب ابى حنيفة روى عنه اصحابه مثل أبى بكر محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى شمس الائمة وبه تفقة وعليه تخرج وانتفع ومن تصانيفه المبسوط وتوفى سنة ثمان اوتسع واربعين و اربع مائة بكش وحمل الى بخارى ودفن بها – الحلوانى بفتح الحاء المهمله وسكون اللام وبعدها واو وفى اخرها النون منسوب الى عمل الحلوى وبيعها – طبقات الحنفية ج 1 ص 318.

العلم على يد الكندى[1] العالم الموسوعى الفيلسوف، وصار واحداً من انبغ تلاميذه وعُد من أهم علماء الموسوعيين فقد كان شاعراً ومحدثاً وطبيباً وفلكياً ورياضياً وفى الفن كان مؤلفاً موسيقياً ذواقه يعرف الموسيقى نظرياً وعلمياً وكان من علماء المنطق وحين ذاع صيتِه أُختِير ليكون معلماً للمعتضد فى شبابه الأول فقد كان السرخسى متفنناً ايضا فى علوم القدماء والعرب وأدابهم كما كان حسن المعرفه جيد القريحة بليغ اللسان ويعده المؤرخون أوحد زمانه فى علمى النحو والشعر [2].

---

[1] الكندى الشيخ المقرى المحدث الاديب البارع علاء الدين ابو الحسن على بن المظفر بن ابراهيم بن عمر بن زيد بن وهبة الله الكندى الاسكندرانى ثم الدمشقى، هذه النسبة الى كنده وهى قبيلة كبيرة مشهورة من اليمن قرية من قرى سمرقند واسم كنده، ومن مؤلفاته كتاب التذكرة الكندية فى خمسين مجلداً وكانت علومه حجة وكتابته حسنة وشعره رائعاً فى سابع عشر من رجب سنة ست عشر وسبعمائة، طبقات الحنفية ج2 ص 342.

[2] طبقات الحنفية ج 2 مرجع سابق، ص 315.

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه ووفاته

الفرع الأول : شيوخه :

تلقى شمس الائمه السرخسى العلم فى بخارى من مشايخها الأحناف تعلم الحديث وحفظ القرآن والتزم شيخ الإسلام على بن الحسن السعدى[1] و شمس الائمه ابا محمد عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح البخارى الحلوانى [2] وكلاهما كان فقيهاً، نظاراً يروى الحديث ويضبط الأقيسه الفقهيه. حتى تخرج وصارأنظرأهل زمانه، وأخذ فى التصنيف وناظر الأقران فظهر أسمه وشاع خبره أملى المبسوط نحو ثلاثون مجلداً وهو فى السجن باوزجند محبوس عن أسباب الخلاف فى الدنيا ميئوس بسبب كلمة كان فيها من الناصحين، ثم تلقى العلم من الموسوعى الإمام عبد الله بن على الكندى الشيخ المُقري المحدث الأديب البارع [3].

الفرع الثانى :تلاميذه [4]

تفقه عليه خلق كثير منهم العلامه بدر الدين محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردرى[5] عرف بخواهر زاده وهو إبن اخت الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالستارالكردرى **والعلامه سيف الدين أبوالمعالى** سعيد بن المطهر

---

[1] تم ترجمته ، ص 3.

[2] تم ترجمته، ص 3.

[3] تم ترجمته، 3.

[4] طبقات الحنفية، ج2، ص 162، وطياقات الحنفية، ج1، ص 560، ونفس المرجع ،ج1، ص 316.

[5] الكردى المعروف بخوارة زادة العلامة بدر الدين ابن أخت الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الستار الكردرى شمس الائمة وتفقه على خاله شمس الدين الكردرى، لقب بخوارة زادة معناها أبن أخت عالم والخوارى بضم الخاء وفتح الواو وبعدها الالف وبعد الالف راء نسبة إلى خوار الرى، وهو صاحب مناقب أبى حنيفة توفى فى سلخ ذى العقدة سنة إحدى وخمسين وست مائة، ودفن عند خاله، طبقات الحنفية ج 2 ص131 وايضاً ج2 ص 304.

بن سعيد الباخررى[1] ومحمد المايمرغى[2] ومحمد بن إبراهيم بن انوش بن إبراهيم أبوبكر محمد بن إبراهيم الحصيرى البخارى[3] كان فقيهاً فاضلاً وسمع الحديث بنفسه وتتبع به جماعه منهم أبو نصر بن ماكولا [4] وأبو عمر وعثمان بن على بن محمد البيكندى[5] وأبو حفصه[6] عمر بن حبيب جد صاحب الهدايه ومحمود بن مسعود بن عبدالحميد قاضى القضاه أبو بكر الشعبى البوزجندى[1] والإمام العلامه شيخ الحنفيه مفتى بخارى شمس الائمه أبو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الأنصارى الخزرجى السلمى الجابرى البخارى الزرنجرى[2] وزرنجر من قرى بخارى كان يضرب به المثل

---

[1] الباخرزى الإمام القدوة شيخ خراسان سيف الدين أبو المعالى سعيد بن المطهر بن سعيد بن على القائدى الباخرزى نزل بخارى وكان إماماً محدثاً ورعاً زاهداً تقياً اثرياً منقطع القرين ولد فى تاسع من شعبان سنة ست وثمانين فى بباخرز وهى ولاية بين نيسابور وهراة توفى بها، معجم الادباء ج 23 ص 36 .

[2] احمد بن محمد بن احمد بن محمود بن محمد بن نصر النسفى المايمرغى نسبة الى ما يمرغ قرية كبيرة على طريق بخارى والمايمرغى بفتح الميم وسكون الالف والباء المثناة من تحتها وفتح الميم وسكون الراء وكسر الغين المعجمة، الطبقات ج1 ص 97 .

[3] هو محمد بن ابراهيم بن انوش بن ابراهيم بن محمد ابوبكر الحصيرى البخارى كان فقيهاً قاضلاً تفقه على شمس الائمة السرخسى وسمع الحديث كثيراً بنفسه وانتفع به جماعه منهم أبونصر بن ماكولا وروى عنه أبن اخته أبوعمر وعثمان بن على البيكندى وكتب بالعراق والحجاز وخراسان، توفي فى ذو العقدة سنة خمسمائة ببخارى رحمه الله تعالى والحَصيرى ببفتح الحاء نسبة لجماعة من أصحابنا وقيل هى نسبة إلى محله ببخارى يعمل بها الحصير، طبقات الحنفية ج 2 ص 3 .

[4] ابن ماكولا على بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن القاسم بن عيسى المعروف بان ما كولا، كان عالماً حافظاً متقنناً وكان يقال عنه الخطيب الثانى، صنف كتاب المختلف والمؤتلف وله كتاب الوزراء ولد سنة اثنين وعشرين واربعمائة وتوفى سنة خمس وثمانيين واربعمائة، الوافى بالوفيات ج 3 ص 160 .

[5] البيكندى الشيخ الفاضل العابد المسند أبو عمرو عثمان بن على بن محمد بن على البخارى البيكندى مولده فى شوال سنة خمس وستين واربع مائة كان إماماً فاضلاً ورعاً عفيف نزيهاً عابداً توفى فى التاسع من شوال سنة اثنين وخمسين وخمسمائة، البيكندى من بلاد ما وراء النهر على مرحله من بخارى وهى بلدة كثيرة العلماء الطبقات ج 2 ص 292 .

[6] ابوحفصة الإمام العلامة عمر بن أحمد بن منصور بن الشيخ أبى بكر محمد بن القاسم بن حبيب النيسا بورى الشافعى ولد سنة سبع وسبعين و أربع مائه هو إمام با رع مبرز جامع لأنواع الفضل من العلوم مات سنة ثلاثة وخمسين وخمسمائة ، سير اعلام النبلاء ج 20 ص 138.

[1] البُوزجانى بضم الباء الموحده وسكون الزاى بعد الواو وفتح الجيم فى اخرها النون هذه النسبه الى بوزجان وهى بلده بين هراة ونيسابور من بلاد نيسابور نسبة إلى أحمد بن محمد والبوزجندى نسبة محمود بن مسعود بن عبد الحميد قاضى القضاء ابوبكر الشعبي طبقات ج 2 ص 291.

[2] الإمام العلامة شيخ الحنفية مفتى بخارى شمس الائمة أبو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصارى الخزرجى السلمى الجابرى الزرنجرى كان يضرب به المثل فى حفظ المذهب تفقه على شمس الائمة محمد بن سهل السرخسى مولده سنة سبع وعشرين واربعمائه، وكان مصيباً فى الفتوى وله معرفة بالانساب والتواريخ وتفرد وعلا مسنده

فى حفظ المذهب قال لى الحافظ أبو العلا الغرضى[3] كان الإمام على الاطلاق والموفود إليه من الأفاق رافق فى أول أمره برهان الائمه الماضى عبد العزيز بن مازه[4] وتفقها معا على شمس الائمه السرخسي

التنوع فى العلوم وتعدد الشيوخ:

بأن السرخسى لم يأخذ العلم والتفقُّه فى الدين والمعرفة فى كافة العلوم من شيخ واحد فقط بل من عدد من الشيوخ لكى يحصل على أكبر قدر من التفقُّه فى الدين وأكثر طريقة لكسب ومعرفة أراء الفقهاء والعلماء فى كافة المسائل والعلوم، وايضاً ذكر عدد من تلاميذه هذا يدل على أنه له دور كبير وجهد عظيم فى تعليم وتخريج عدد كبيرمن العلماء والفقهاء والأدباء فى ذلك العصر، وعليه أرجو من علمائنا وفقهاءنا أن يتخذوا ذلك المنهج حتى يتمكنوا من تخريج عدد كبير من الفقهاء و العلماء فى العصر الذى تتكالب فيه الاعداء على الاسلام والمسلمين .

الفرع الثالث : وفاته : [1]

عاش السرخسى فى القرن الثالث الهجرى فى بخارى طول حياته يطلب العلم حتى أذا شد وبلغ أشده جلس يدرسه ويدونه ويصح أن نعتبره المدون الثانى للمذهب الحنفى الفيلسوف البارع ذو التصانيف أبوالعباس أحمد بن الطيب وقيل أحمد بن محمد السرخسى من بحور العلم النافع وكان السرخسي مؤدب المعتضد ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته وله رئاسة

وعظم قدره وكان يقال له أبوحنيفة الاصغر توفي فى عشر من شعبان سنة اثنين وعشرة وخمسمائه، سير اعلام النبلاء ج 19 ص 415– 411 .

[3] الفرضى الشيخ أبو المعالى هبة الله بن محمد بن احمد بن مسلم البغدادى الفرضى توفي فى رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة وله تسعون سنة رحمه الله، سير اعلام النبلاء ج 2 ص 470 .

[4] ابن مازة : اسمه عبد العزيز بن عمر بن مازة وكان من اكابر جماعة شمس الائمه السرخسى قتل بسمرقند سنة ست وثلاثين وخمسمائه طبقات الحنفية ج 1 ص 561 – 562 .

[1] طباقات الحنفية، ج2 ، مرجع سابق، ص 162.

وجلالة كبيرة وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندى الفيلسوف، ثم إن المعتضد انتخى الله وقتل السرخسى لفلسفته وخبث معتقده فقيل إنه تنصل إليه وقال قد بعت كتب الفلسفة والنجوم والكلام وماعندى سوى كتب الفقة والحديث، فلما خرج قال المعتضد والله إنى لأعلم أنه زنديق [2] فقال ما زعم رياء .

وقد توفى السرخسى فى عام 286هـ- 899م قتيلاً بيد أحد أعوان المعتضد دون أذن منه بذلك وتوفى كما جاء فى التاج حول سنة 500هـ ولقد جاء فى رسائل أبن عابدين تعيين لتاريخ وفاته سنة 490هـ وبما أن السرخسي عاش فى القرن الثالث الهجرى اقرب تاريخ لوفاته فى حدود سنة خمسمائة هجرية وهو القول الراجح.[3]

[2] زنديق الزنديقى فارسى معرب وجمعه زناديفه قال سبيويه الهاء فى الزنادقة بدل من ونديقى وقال الجوهرى وقد تزندق والاسم الزندقه قال زنديقى ولا فرزيقى من كلام العرب إنما يقولون زندق هو الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر كان يسمى منافقاً ويسمى اليوم زنديقاً المطلع لزاد المقنع ج1 ص 378.

[3] سير أعلام النبلاء ج 13، مرجع سابق، ص 449

المطلب الرابع

عصرالإمام السرخسي

الفرع الأول : الحالة الاجتماعية [1]

يوصف السرخسى بأنه كان حسن العشرة مليح النادرة طريفاً محباً للفكاهة جيد القريحة حسن المعرفة بليغ اللسان مليح التصنيف والتأليف أوحد فى علم الشعر والنحو، وكان لأحمد مجلس يجمع اليه الناس ويبحثون معه فسأله يوماً المعتضد عما جرى له فى ذلك المجلس فقال يا أمير المؤمنين حدث لى اليوم أمر ظريف دخل إلى فى جملة الناس رجل لا أعرفه له رواء وهيبة وتوسمت أنه من أهل المعرفة وقعد لا ينطق من أول المجلس الى آخره فلما أنصرف الناس لم ينصرف فقلت له ألك حاجة قال نعم تخلى لى نفسك فأبعدت غلمانى وبقيت وحدى فقال أنا رجل أرسلنى الله إلى هؤلاء البشر وقد بدأت بك لفضلك وأملت أن أجد عندك معونه فقلت له يأ هذا أما علمت أنى مسلم أعتقد أنه لا نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمت ذلك وما جئتك إلا ببرهان ومعجزه هل لك فى الوقوف على معجزتى فأردت أن أعلم كل ما عنده فقلت له هاتها فقال تحضرنى سطلاً فيه ماء فأحضرت ذلك فأخرج من كمه حجرين أصمين أشد ما يكون من الحجارة فقال خذهما فاخذتهما فقال ما هما فقلت حجران فقال لى رم كسرهما فرمت ذلك فتعذر لشدة صلا بتهما فقال ضعهما بيدك فى السطل وغطه بمنديل ففعلت من حيث لم يتول هو شيئا من الأمر ولا قرب من السطل

---

[1] اصول السرخسي، ج1، ص 10، تأليف محمد إبن أحمد إبن سهل السرخسي، وطبقات الحنفية، ج2، ص 29، وتاريخ الإسلام ج20، ص 240.

وأقبل يحدثنى فوجدته ممتعاً كثير الحديث سديد العبارة حسن البيان صحيح النقل لا أنكر منه شيئاً فلما طال الأمر قلت له فأى شئ بعد هذا فقال أخرج لى الحجرين فكشفت السطل وطلبتهما فلم أجدهما وتحيرت وقلت له ليس فى السطل شئ فقال أما فى هذا إعجاز فقلت له بقيت عليك واحده وهى إننى اقبِل بحجرين من عندى فقال لى وهكذا قال أصحاب موسى له إذ جاءهم بالعصا نريد أن تكون هذه العصاة من عندنا فتوقفت عن جوابه لا فكر فيه فقام وقال لى فكر فى أمرك وأعود اليك فندمت على تركه بعد إنصرافه وأمرت الغلمان فتتبعوه فى كل الطريق فلم يجدوه، فقال القاسم بن عبيد الله قال لى المعتضد أتدرى ما أراد أحمد بن الطيب لعنه الله بهذا الحديث فقلت لا يا أمير المؤمنين فقال أنما أراد أن سبيل موسى عليه السلام فى العصا سبيل هذا الرجل فى الحجرين وأن الجميع بحيلة فأحسست بما ذهب إليه وكان ذلك من أكبر ما نغمه عليه المعتضد.

هذه القصة كان لها أثر كبير فى حياة السرخسى الاجتماعية أدت إلى غضب المعتضد عليه وإيداعه السجن فى داخل جب لكن طلابه لم يفتروا فى جلب القراطيس وكان

يملى عليهم من داخل الجب وهم يكتبون ما يملى من أعلى الجب[1]

وعند ما كانت ولاية العهد للمعتضد(1) بعد ما خلع جعفر المفوض[2] وقدم عليه المعتضد وكتب إلى الأفاق بذلك وذلك لتمكن المعتضد من الأمور

[1] تاج تراجم الحنفية تأليف أبو الفداء زين الدين أبو العز قاسم بن قطلوبغا السودونى الناشر دار القلم دمشق

(1) المعتضد بالله الخليفة أبو العباس أحمد إبن الموفق ولي العهد إبي أحمد طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، ولد في أيام جده سنة إثنين وأربعون ومائتين هجريه، وأستخلف بعد عمه المعتمد، سير أعلام النبلاء، ج13، ص 464.

(2) جعفر المعتمد أحمد بن المتوكل بن جعفر بن المعتصم العباسى المفوض إلى الله ولى العهد عقد له أبوه وخطب له على المنابر زماناً خلفه أبوه وولى المعتضد و يقال أن المعتضد لما أستخلف قتل المفوض هذا ،سير أعلام النبلاء ج1ص33.

ولطاعة الجيش له وفيها منع المعتضد أن يقعد فى الطريق منجم ولا قصاص واستحلف الوراقين لا يبيعون كتب الفلاسفة والجدل ونحو

الفرع الثانى : الحالة السياسية

فلما استخلف المعتضد بالله بعد عمه المعتمد وكان ملكاً مهيباً شجاعاً جباراً شديد الوطأة من رجال العالم يقدم على الاسد وحده . وكان أسمر ، نحيفاً معتدل الخلق كامل العقل ، قليل الرحمة وكان ذا سياسة عظيمة أمر بعمارة القصر المعروف بالحسينى على دجله فى سنة ثمانين ومائتين وأنفق عليه مالاً عظيماً وهو القصر المرسوم بدار الخلافة و أمر ببناء مطامير فى القصر رسمها هو للصناع فبنيت بناء لم يرى مثله على غاية ما يكون من الإحكام و الضيق وجعلها محابس للأعداء . وإذا غضب على أمير ألقاه حياً فيها وطمهاعليه.[1]

السرخسى الفليسوف البارع ذو التصانيف أبو العباس أحمد بن الطيب وقيل أحمد بن محمد السرخسى من بحور العلم الذى لا ينفد، وهو تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندى الفليسوف.

وكان أولا معلماً للمعتضد ثم صار نديمه وكان يفضى إليه بأسراره ويستشيره فى أموره.

وحين دخل المعتضدسن الرجولة كان السرخسى من أهم ندمائه[(1)] وأصدقائه المقربين وحين ولى المعتضد الخلافة عام**279هـ**–901م ولاه منصب الحسبة [(2)] فى

---

[1] تاج التراجم فى طبقات الحنفية ج!ص 109

(1) الند العود الذى يبخر به (ند) البعير نفر(ندوداً) و(نداً) و(اندداً) من باب ضرب وندم وما أنشدته عائشة رضى الله عنها هو لمتمم بن نويرة قاله فى اخوع مالك حين قتله خالد بن الوليد (وكنا كند مانى جزيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا فلما تفرقنا كان ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا (ندو) النادى مجلس القوم و متحدثهم ماداموا (يندون) اليه (ندوا) اى يجتمعون و(الندوة) ومنها دار الندوه لدار قصى بمكة لان قريشا كانوا يجتمعون فيها للتشاور ثم صار مثلا لكل دار يرجع اليها ويجتمع فيها ويقال هو (اندى) صوتا منك اى ارقع وابعد وعن الازهرى (الانداد) بعد مدى الصوت وعنه ايضا (ندى) الصوت بعد مذهبه وقوله فانه اندى لصوتك اى ابعد واشد وهو من الندوة) الرطوبة لان الحلق اذا جف لم يمتد، المعرب فى ترتيب المعرب ج 2 ص 294 – 296، ونادمه على الشرب فهو نديمة وندمائه وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى والمراة ندمانه يد من الشرب مع ند مه، مختار الصحاح ج 1 ص 273 .

(2) الحبس ضد التخلية وبابه ضرب واحتبسة بمعنى حبسه واحتبس ايضا بنفسه يتعدى ويلزم وتحبس على كذا حبس نفسه عليه الحبسة بالضم الاسم من الاحتباس يقال للصمت حبسته واحتبس فرسا فى سبيل الله اى وقف فهو محبس وحبيس

بغداد فقد كان يثق به ويفضى إليه بأسراره ويستشره فى أمور الحكم وعلى الرغم من ذلك كانت تقلب علي السرخسى طيبة القلب فكان لايعرف المجاملة مما أدى إلى غضب حاشية المعتضد عليه فدبروا له حيلة جعلت المعتضد يغضب عليه ويأمر بسجنه ومصادرة أمواله فأراد الأمير ،إزعاجه فى السجن وأمر أن يدخل معه قس يزعجه . :يقال أ ن فى قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام [1] فى حق الهدهد ...(لاعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لاَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنّى بِسُلْطَانٍ مُّبِين ﴾[2] فهذا لا يجوز أن يقوله إلا فيمن هو مكلف أو فيمن قارب العقل فيصلح لأن يؤدب ثم اختلفوا في قوله ﴿ لاعَذِّبَنَّهُ ﴾فقال ابن عباس إنه نتف الريش والإلقاء في الشمس وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل فتأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق

والحبس بوزن القفل ماوقف، حسبت المال حسبا من باب قتل احصيته عددا وفى المصدر ايضا حسبة بالكسر وحسبا بالضم مختار الصحاح ،ج 1 ص51

[1] سليمان بن داؤد عليه السلام لما توفى داؤد ملك بعده ابنه سليمان على بنى اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة واتاه مع الملك النبوة وسال الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح وكان ابيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان ابوه يستشيره فى حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله فى كتابه فى قوله تعالى (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ)(الانبياء الايه 78) فامضى داؤد قوله وقال الله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) (الانبياء79) قال بعض العلماء فى هذا دليل على ان كل مجتهد فى كل الأحكام الفرعية مصيب وكان سليمان ياكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا اراد الغزو امر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم ما يحتاجون اليه ثم امر الريح فحملته فسار فى عدوة مسيرة شهر ومن روحته كذلك وكان له ثلاثمائة زوجه وسبعمائه سريه واعطاه الله انه لا يتكلم احد بشىء الاحملته الريح اليه فيعلم ما يقول، وكان يتجرد للعباده فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل واكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله فى المرة التى توفى فيها فبينما هو قائما يصلى متوكنا على عصاه ادركه اجله فمات ولايعلم به الشياطين والجن وهم فى ذلك يعملون خوفا منه فأكلت الارض عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قد مات وعلم الناس ان الجن لا يعلم الغيب الكامل فى التاريخ تاليف ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن الكريم الشيبانى، دار النشر دار الكتب العلمية – بيروت 1415هـ الطبعة الثانية ج 1 ص 175– 176.

[2] سورة النمل الآيه 21 .

السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه [1]، قال بعضهم المراد بالعذاب الشديد هو حبسه مع غير جنسه ، وهكذا السرخسى حبس مع غير جنسه أزعاجا له، لكن طلابه لم يفتروا فى جلب القراطيس ليكتب من حفظه فى سجنه هذا فكتب كتاب (المبسوط) من حفظه فكان أن أسلم القس لما وجد من محمد هذا من خلق وعلم وأمانة .

فلما علم بحال القس قيل له أدخلناك معه لتزعجه فأسلمت، فقال ان كان هذا هو محمدكم الصغير فكيف بمحمدكم الكبير .

ويحكى أن المعتضد خرج على رأس جيش ليسترد مدينة أمد[2] بديار بكر فاستغل المساجين والخوارج الذين كانو بالمطامير[3] فى بغداد الفرصة فهربوا ورفض السرخسى أن يهرب معهم وبقى فى موضعه ورجا بذلك السلامة فكان قعوده سبباً لمنيته مع ذلك عندما قبض على المساجين وأمر المعتضد القاسم باثبات جماعة ممن ينبغى أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهم

---

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: تأليف فخر الدين محمد بن عمر التميمى الوازى الشافعى دار النشر دار الكتب العلمية بيروت 1421هـ– 2000 م الطبعة الاولى ج 24 ص 163.

[2] أمد: الأمد محركة قال الراغب في المفردات يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبتدى يعبر به مجازاً عن سائر المدة والأمد المنتهى من الأعمار يقال ما أمدك أي منتهى عمرك وفي القرآن قوله تعالى (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ) (آل عمران الايه 30)، والأمد الغضب أمد عليه كفرح وأبدا إذا غضب عليه والأمد كالصاحب المملؤ من خير او شر نقله الصغانى عن إبن عمر والأمد السفينة المشحونة وأمد بالثغور في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم وفي المراصد هي لفظة رومية بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة محيطه بأكثره مستديرة به كالهلال ونسب إليها بعض الأعلام مثل أبى محمد محمود بن مودود بن سالم الملقب بسيف الدين صاحب التصانيف، والأمد الغاية، وأمد إبن البلندي إبن مالك إبن دقن قيل إليه نسبت مدينة أمد، تاج العروس، ج7، ص 391–393 من جواهر القاموس تأليف محمد المرتضى الحسيني الذبيدي، دار النشر: دار الهداية تحقفيق مجموعة من المحققين، والمصباح المنير ج1 ، ص 21.

[3] المطامير: المطمورة هى الحفرة تحت الارض يوسع اسفلها تخبأ فيها الحبوب والجمع مطامير، ومطامير فرس القعقاع بن شور الكريم المشهور صاحب معاوية رضى الله عنه ويقال أطمر على فرسه كافتعل اذا وثب عليه ومنح ورائه وركبه طمر اذا علا وطمر اذا اسق، والمطمور العالى والمطمور الاسفل ضد والطمار كقطام جبل بعينه وقيل سور دمشق وقيل قصر بالكوفة والمطامير قرية بحالوان العراق منها الحسن بن عبد الله بن احمد التميمى المكى سمع منه ابو الغتيان الدوا سى الحافظ وتوفى سنة 463، تاج العروس ج 12ص 437 القاموس المحيط ،ج1 ص 554 القاموس المحيط تاليف محمد بن يعقوب الفيروز ابادى دار النشر مؤسسة الرساله بيروت . والطمورة مصطلح موجود فى السودان وهى حفرة فى الارض يوسع أسفلها يحفظ فيها الذرة.

فأثبتهم ووقع المعتضد بقتلهم فأدخل القاسم أحمد فى جملتهم فيما بعد فقتل وسأل عنه المعتضد فذكر له القاسم أنه قتل وأخرج إليه الثبت ولم ينكره بأن يقتلوا وقتل معهم السرخسى ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة وكان فيض المعتضد على أحمد فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله فى الشهر المحرم فى سنة ست وثمانين ومائتين.

وكان هنالك أثر كبير للحياة السياسية للسرخسى فى دخوله السجن مما جعله يكتب كتابه المبسوط الذى جمع فيه الاراء الفقهية للإمام الأعظم أبو حنيفه رضى الله عنه وأعلام المذهب .

الفرع الثالث : الحالة الإقتصادية العلمية :[1]

السرخسى الشيخ العالم الفقيه المعمر أبو العباس السرخسى ثم الحنفى التاجر، قدم بغداد مع أبيه للتجارة، قال السمعانى شيخ معمر حسن السيرة ذو نعمة وثروة حدثنا عنه عمى الحسن الانصارى وجماعة كثيرة [1].

فقد أجتمعت فى السرخسى صفات حميدة منها تقوى الله عز وجل والخوف منه ومراقبته ، مع ما أعطاه الله من حدة الذكاء ، وسعة الأفق مع رحاب الصدر و الجلد على طول المذاكرة والجهاد و الصبر وكثرة الاسفار فى سبيل الله تعالى و الرحلات لتحصيل العلم . فقد حفظ القرآن الكريم منذ صغره ، ثم تلقى العلم بحاضرته بغداد وبخارى وكرس جهده حتى برع ونبغ وكان إماماً فى فنون كثيرة .قال الإمام الزاهد شمس الائمة أبوبكر محمد بن سهل السرخسى إن أصول السرخسى املا فى يوم السبت من شوال سنة تسع وسبعين وأربعمائة فى زارية من حصار أو زجند الحمد الله الحميد المبدى المعيد الفعال لما يريد ذى البطش الشديد والأمر والحكم الرشيد والوعد والوعيد، نحمده على ما أكرمنا من ميراث النبوه ونشكره على ما هدنا إليه بما هو أصل فى الدين والمروه وهو العلم الذى انفس الاعلام وأجل مكتسب فى الأفاق فهو أعز عند الكريم من جمعه قد جمع العز و الشرف ومن عدمه فقد عدم مجامع الخير واللطف ويقوى الضعيف ويزيد عز الشريف يرفع الخامل الحقير ويمول العائل الفقير به يطلب رضا الرحمن وتستفتح أبواب الجنان وينال العز فى الدين والدنيا والمحمده فى البدء والتغِى، لأجله بعث الله النبيين وختم بسيد المرسلين وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين.

---

(1) سير اعلام النبلاء – مرجع سابق ج19 ص147

وبعد فإن من أفضل الأمور وأشرفها عند الجمهور بعد معرفة الدين والاقتداء بالأئمة المتقدمين فى بذل المجهود لمعرفة الأحكام فيها يتأتى الفضل بين الحلال والحرام وقد سمى الله تعالى ذلك فى محكم تنزيله الخير الكثير فقال (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)[1] فسر ابن عباس[2] رضى الله عنهما وخير الحكمة بعلم الفقه وهو المراد بقوله عز وجل (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) [3] اى بيان الفقه و محاسن الشريعة يؤت الحكمة من يشاء، أي يعطيها لمن يشاء من عباده واختلف العلماء في الحكمة هنا فقول هي النبوة وأبن عباس هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره وقال مجاهد الحكمة هي الفقه في القرآن و الإصابة في القول والفعل وقال مالك بن أنس[3] الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له وروى عنه بن القاسم أنه قال الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له وقال أيضا الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به والخشية وقال إبراهيم النخعي[4] الحكمة الفهم في القرآن وقال الحسن[5] الحكمة الورع. وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الأحكام وهو الإتقان في قول أو فعل فكل ما ذكر فهو نوع من

---

[1] سورة البقرة ايه 269.

[2] عبد الله بن عباس هو أبو العباس عبد بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقال له البحر والحبر لكثرة علمه دعاء له النبى صلى الله عليه وسلم بالحكمه مرتين وقال أبن مسعود نعم الترجمان، ولد فى الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ومات النبى (ص) وهو أبن ثلاثة عشر سنة وقيل خمسة عشر سنة ومات بالطائف سنة ثمان وستين وقيل تسعة وسبعين وصلى عليه محمدبن الحنفية – أبواب المقنع ج1ص427.

[3] سورة النحل ايه 125 .

[5] أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى رضى الله عنه صاحب المذهب وهو أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ موصوف بكمال الادب والعلم نجيب الابتداع مكين المعرفة والدراية فقيه عصره وعالم دهره ولد سنة خمسة وتسعين من الهجرة ومات سنة تسعة وسبعين ومائة وأخذ العلم عن بيعه وافتى معه السلطان وقال ابن وهب سمعت منادياً ينادى ألا يفتى الناس إلا مالك بن أنس، طبقات الفقهاء ج1ص54.

4 إبراهيم النحعى هو الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمر ان إبراهيم بن زيد بن غيث النخعى اليمانى الكوفى روى عن خلق كثير وروى عنه جماعة كثيرون أدرك بعض من الصحابة ولم يحدث عن أحد منهم كان مفتى الكوفة هو والشعبى فى زمانهما توفى سنة ست وتسعين هجرية– سير أعلام النبلاء ج1ص201.

5 الحسن بن حماد: هو الحسن بن حامد بن على بن ودان أبوعبد الله البغدادى إمام الحنابله فى زمانه ومدرسهم ومفتيهم له المصنفات فى العلوم المختلفات له الجامع فى المذهب نحوا أربعمائه جزء وله شرح الخرصى وشرح أصول الدين وأصول الفقه سمع أبابكر بن مالك وأبا بكر الشافعى وغيرهم ومن أصحابه القاضى أبو يعلى وأبو إسحاق وغيرهم توفى راجعاً من مكه بقرب واقصه سنة ثلاث وأربعمائه – المطلع ج1ص433.

الحكمة التي هي الجنس فكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه فقيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به، وبه يعلم الإمتناع من السفه وهو كل فعل قبيح وكذا القرآن والعقل والفهم وفي البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) [1]وقوله يفقهه أى يفهمه وفضل التفقه فى الدين من جهة أثبات الخيرلمن يتفقه فى دين الله وأن ذلك لايكون بالاكتساب فقط بل لمن يفتح الله عليه به (4) وقال عليه السلام (خياركم فى الجاهليه خياركم فى الاسلام اذا فُقهو)(5) وإلى ذلك دعا الله الصحابه الذين هم أعلام الدين وقدوة المتاخرين فقال (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[2] (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ ﴾ يعني من الفرق الساكنين في البلاد طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين وليعرفوا الحلال والحرام ويعودوا إلى أوطانهم فينذروا ويحذروا قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتفقه والتعلم، فإن قيل أفتدل الآية على

---

1 تم تخريجه فى صفحة المقدمة.

(4) فتح الباری ج 1 ص 164 (2) .

(5) خياركم خير الخير ضد الشر وبابه باع نقول من خرت يارجل فانت خائر وخار الله لك وقوله تعالى (ان ترك خيرا) اى مالا والخيار بالكسر خلاف الاشرار وهو ايضا الاسم من الاختيار وضد القثاء وليس بعربى ورجل خير وخير مثل هين وهين وكذا امراة خيرة وخير قال الله تعالى (واولئك لهم الخيرات) جمع خيره وهى الفاضلة من كل شئ وقال فيهن خيرات حسان) قال الاخفش لما وصف به فقيل فلان خير اشبه الصفات فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به افعل فان اردت معنى التفضيل قلت فلان خير الناس ولاتقل خيرة ولا اخير ولا يثنى ولا يجمع لانه فى معنى افعل واما قول الشاعر: الابكر النا عى بخيرى بنى اسد، فانما ثناه لانه اراد خيرى بالتشديد مخففه مثل ميت وميت وهين وهين والخير بالكسر الكرم والخيره بوزن العنبة الاسم من قولك اختار الله تعالى يقال محمد خيرة الله من خلقه وخيرة الله ايضا بالتسكين والاختيار الاصطفاء وكذا التخير وتصغير مختار مخير كمغير والاستخارة طلب الخيرة يقال الله يخر لك وخيره بين الشيئين اى فوض اليه الخيار استخر، مختار الصحاح تاليف محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرا زى دار النشر مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1415 هـ – 1992م ط 4 جديدة تحقيق محمود خاطر ج1 ص 81– الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه 64 كتاب الآنبياء 6باب أم كنتم شهداء إحضر يعقوب الموت إلى قوله ونحن له مسلمون) 1235/3ح 3194و أحمد بن حنبل فى مسنده 485/2ح10300. باب مسند أبى هريرة رضى الله عنه ج2ص485

2 سورة التوبة آيه 122.

وجوب الخروج للتفقه في كل زمان، قلنا متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر وفي زمان الرسول عليه السلام كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث أما في زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجباً إلا أنه لما كان لفظ الآية دليلاً على السفر لا جرم رأينا أن العلم المبارك المنتفع به لا يحصل إلا في السفر .

وفى حديث ابى هريرة[2] رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ماعبدالله بشىء أفضل من الفقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وقال قليل من الفقه خير من كثير من العمل فتمام المقصود لا يكون الابعد العمل بالعلم اذا لم يكن عاملاً بما يعلم فهو فقيه من وجه دون وجه فاما أذا كان عاملاً بما يعلم فهو الفقيه المطلق الذى أراده الرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هوأشدعلى الشيطان من ألف عابد وهو صفة المتقدمين من ائمتنا أبى حنيفة[1] وأبى يوسف[2] ومحمد [3] رضى الله عنهما ولا يخفى ذلك على من يتأمل فى أقوالهم وأحوالهم عن أنصاف .

(2) أبو هريرة الدوسى هو عبد الرحمن بن صخر من قبيلة دوس الإمام الفقيه والمجتهد الحافظ صحابى وأكثر الصحابة رواة للحديث هاجر الى المدينة ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ص) أبو هريرة وعاء من العلم أخرجه الحاكم فى المستدرك وزيد العمى ضعيف ج2ص596، تهذيب التهذيب ج12 ص288، حديث أبو هريرة أخرجه أبن حجر فى المطالب العالية 713/12ج 3087 ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنيع الفوائد 121/1.

(1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن طاؤس بن هرمز بن مرزيان بن كهرم بن ماجين بن حسينك الكوفى ولد سنة ثمانين، وراى انساً وروى عنه عطاء بن ابى رباح، كان من الاذكياء جمع بين الفقه والعبادة والورع والسخاء وكان لا يقبل جوائز الولاة بل ينفق ويؤثر من كسبه له دار كبيرة لعمل الخرز قال الإمام الشافعى الناس فى الفقه عيال على إبى حنيفة وكان قد ادرك أربعة من الصحابه وسمع عبد الله بن انيس وعبد الله بن جزء الذبيدى وانس بن مالك وجابر بن عبد الله ومعقل بن بثار وسمع من التابعين كعطاء ونافع مولى ابن عمر وغيرهما، وروى عنه الجمع الغفير وغيرهم، وقيل انه مات سنة خمسين ومائه واختلفوا فى إى شهر منها رحمه الله تعالى طبقات الفقهاء ج 1 ص 18- 19.

(2) أبو يوسف القاضى ولد سنة ثلاث عشرة ومائة هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبته نسبه إلى أمه وهو الانصارى البجلى من بجيلة وكان سعد حينه استصغر يوم أُحد ونزل الكوفة ومات بها وصلى عليه زيد بن أرقم وكبر خمساً، وكان أبو يوسف يروى عن الاعمش وهشام بن عروة وكان صاحب حديث للتفسير والحديث وعلوم الفقه وكان يصلى مائة ركعة وفى روايه مائتى ركعة ثم لزم أبا حنيفة فغلب عليه الراى ولى قضاء بغداد فلم يزل قاضياً بها إلى أن مات سنة اتسع وثمانين ومائه فى خلافة هارون الرشيد طبقات الحنفية مرجع سابق ج1 ص 537 و المعارف ج 1 ص 499.

وقال فى المبسوط عند فراقة من شرح العبادات هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعانى وأوجز العبارات أملاء المحبوس عن الجمعة والجمعات وقال فى آخر كتاب الطلاق هذا آخر كتاب الطلاق المؤثرمن المعانى الرفاق أملاء المحبوس عن الانطلاق المبتلى بوحشة الفراق مصليا على صاحب البراق صلى الله عليه وسلم أهل الخير والساق صلاة تتضاعف وتدوم إلى يوم التلاقى كتبه العبد الربى على السقاق وقال فى آخر كتاب العتاق أنتهى شرح العتاق من مسائل الخلاف والرفاق أملاه المستقبل للمحن بالاعتناق المحصور فى طرق من الافاق حامداً للمهيمن الرزاق ومصلياً على الحبيب الخلاق ومرتجى إلى لقائه بالاشواق وعلى آله وصحبه خير الصحب والرفاق وقال فى آخر شرح الاقرار أنتهى شرح كتاب الاقرار المشتمل من المعانى ماهو سر الاسرار وأملاه المحبوس فى موضع الأشرار مصليا على النبى المختار .

وقد أهتم السرخسى بعلوم الارض خاصة فكانت معظم كتبه مؤلفة فيها ومن أهم الظواهر الطبيعية التى أهتم بها السرخسى المناخ وأثره على السكان والحياة وكذلك تكلم عن الجبال. لان العلماء فى السابق لم تقتصر حياتهم العلمية على علم واحد فقط بل كانوا يهتمون بمعرفة العلوم الكونية .والطب والفنون والفقه واصوله وكافة العلوم الاخرى .

ومن أهم مؤلفات السرخسى فى علم الأرض:

أحداث الجو – منفعة الجبال – الضباب – المسالك والممالك – برد أيام العجوز – كتاب الشطرنج العالية – كتاب أدب النفس إلى المعتضد – كتاب فى وحدانية الله تعالى – كتاب فى الفرق بين نحو العرب و المنطق.

---

(3) محمد بن الحسن الفقيه يكنى ابا عبد الله وهو مولى لشيبان وقدم ابوه واسط فولد محمد بها سنة اثنتين وثلاثين ومائه ونشأ بالكوفة وطلب العلم من الإمام الأعظم والاوزاعى والإمام مالك والثورى ومسعر بن كدام وعمر بن ذر واشباهم وجالس ابا حنيفة وسمع منه ونظر فى الراى فغلب عليه وعرف به وقدم بغداد فنزلها سمع منه الحديث والراى و خرج إلى الرقة فولاه هارون قضاء الرقة ثم عزله فقدم بغداد فلما خرج هارون إلى الرى الخرجه الاولى امره فخرج معه فمات بالرى سنة تسع وثمانين ومائه وهو ابن ثمان وخمسين سنة الطبقات مرجع سابق والمعارف مرجع سابق ج 1 ص 499 .

ومن أهم مؤلفاته فى الرياضيات :

الاثمارطيقى فى الأعداد والجبر والمقابلة .

ومن مؤلفاته فى الفلك :

المدخل إلى صناعة النجوم – اختلاف الأزياج

ومن مؤلفاته فى الطب :

المدخل إلى صناعة الطب – البول –الرد على جالينوس فى الطعم المر [1]والامراض الجلديه مقالة فى البهق والنمش والكلف [2].

ليس من تفسير لطريقة التصفيه السياسية التى تعرض لها السرخسى غيرقوة ايدلوجية[3] الفئة المقاومة للتغير الرافضة لمشروع المثقف الموسوعى الذى نال حظوة الخليفة وشرف لباب عقله إذا إن محبة الخليفة المعتضد لمؤدبه قد ظهرت واضحة حين أصدر مرسوماً يقضى بتعينيه نديما له ولكنه فى نهاية المطاف يحصل بين النديم المحتسب والوزير شرخ قاده وأنماه الوزير القاسم بن عبد الله[4] والقائد العسكرى التركى الأصل المدعو بأسم

---

(1) طبقات الحنفية ج 2: ص 163.

(2) عيون الانباء فى طبقات الاطباء تأليف موفق الدين ابى العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى – دار النشر دار مكتبة الحياة بيروت تحقيق الدكتور نزار رضا ج 1 ص293–295 .

(3) اليد اصلها يدى على فعل ساكنه العين لان جمعها ايد ويدى وهما جمع فعل كفلس وافلس وفلوس ولا يجمع فعل على افعل الا من حروف يسيره معدوده كزمن وجبل واجبل وقد جمعت الايدى فى الشعر على اياد وهو جمع الجمع مثل اكرع واكارع وبعض العرب يقول فى الجمع الايد بحزف الياء وبعضهم يقول لليد يدى واليد القوة وايدى قواه ومالى بقلان، وقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) وقوله تعالى بأيدى (اى بقوة وهو اديئيدا ذا قوى وليس جمعا ليد، فيذكر هنا بل موضعه باب الدال وقد نص الازهرى على هذه الايه فى الايد بمعنى المصدر ولا اعرف احدا من الائمه او التفسير ذهب الى ما ذهب اليه الجوهرى من انها جمع يد وقوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد) اى عن ذلة واستسلام، وقيل معناه نقد الانسيئة واليد النعمة والاحسان تصطنعه وجمعها يدى بضم الياء وكسرها كعصى بضم العين وكسرها وايد ايضا ويقال ان بين يدى الساعة اهوالا اى قدامها وهذا ما قدمت يداك وهو تاكيد اى ما قدمته انت كما يقال ما جنت يداك اى ما جنيته انت ويقال سقط فى يديه واسقط فى يديه واسقط اى ندم وقوله تعالى (ولما سقط فى ايديهم) اى ندموا ولوج لاج الشئ لوجا ادارة فى فيه واللوجا الحاجة عن ابن جنى يقال مافى صدره حوجاء ولالوجاء الاقضينها اللحيانى مالى فيه حوجاولا لوجا ولا حويجاء كلاهما بالمد أى مالى فيه حاجه غيره مالى عليه حوجولا لوج لسان العرب – مختار الصحاح ج 1 ص 305.

(4) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعد الحارثى البغدادى الوزير ولى الوزارة للمعتضد بعد موت والده الوزير عبيد الله سنة ثمان وثمانين ونهض القاسم بأعيا الأمور عند موت المعتضد فأخذ البيعة للمكتفى ومات القاسم فى تاسع

بدر المعتضدى [1] وقد وشى الاثنان بالسرخسى عند الخليفة وأن الأخير غريب من الالحاد وما كان ذلك إلا اختلاف رمى به الرجل ليسقط بشكل مفاجىء.

لم تقتصر الحالة على خسارة السرخسي بمؤامرة من رجال البلاط العباسى وحسب بل معظم مؤلفاته وكتبه فى كافة العلوم فقدت لم يبقى منها إلأ القليل.

لقد أورد ياقوت الحموى[2] مجموعة من الاخبار الخاصة بالسرخسى كما أشار أبوحبان التوحيدى [3] فى كتابه متألب الوزيرين إلى أسباب ودوافع أخرى للتخلص من السرخسى مجملها أن قادة العسكر وجدوا بالرجل خطراً يحيق بمصالحهم التى اكتسبوها وقد كان هذا العالم الموسوعى قد بلغ مكانة مرموقة عند الخليفة.

ما أجملها من وقفة وما أعظمها من همة حفظ الله فحفظه وفتح له من خزائن علمه ،رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما.

اذا قيل: هذا منهل قلت قد أرى . . . ولكن نفس الحر تحتمل الظما

ذى العقدة سنة إحدى وتسعين فكانت وزارته ثلاث سنين ونصفاً وأياماً وكان القاسم من ظلمة الوزراء، تاريخ الاسلام ج 22 ص 231 .

[1] بدر المعتضدى: مولى المعتضد بالله ومقدم جيوشه وكان فى حرب فارس لما توفى المعتضد فعمل القاسم بن عبيد الله الوزير عليه وغير قلب المكتفى عليه فطلبه المكتفى فتخوف وأختفى ثم أرسل اليه أمانا وغدر به بإشارة القاسم ولما وصل عدى به فى السفينه الى جزيرة بشر وقتل صبراً فى رمضان سنة تسع وثمانين، تاريخ الاسلام ج21 ص 132–133 .

[2] هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغداى المنشأ الرومى الاصل الحموى المولى، كان مقيما بخورزم وفارقها للواقعة التى جرت بين التتر وسلطان خوارزم شاه سافر ودخل مصر وتتبع كتب التواريخ وصنف كتاباً سماه ارشاد الالباء إلى معرفة الادباء ويدخل فى أربعة جلود وذكر فى أوله مما قراه على قوله وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلى من اخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخبارين والمؤرخين والوراقين المعروفين، ومن تصانيفه معجم الادباء ومعجم البلدان ومعجم الشعراء المشترك وضعا والمفترق صقعا المبتدا والمال فى التاريخ كتاب الدول مجموع كلام ابى الفرس عنوان كتاب الاغانى المقتضب فى النسب يذكر فيه انساب العرب انه توفى بحلب فى رمضان سنة ست وعشرين وستمائه وقف كتنه بمشهد الذي دى ببغدا د، مرجع تاريخ ار بل ج 1 ص 324 تأليف شرف الدين بن ابى البركان المبارك بن احمد الاربلى دار النشر وزارة الثقافة والاعلام – العرا ق – 1980م تحقيق سامى بن سيد حماعر الصفا.

[3] أبوحبان التوحيدى هو أبو حيان على بن محمد بن العباس البغدادى المعروف بالتوحيدى الشيرازى الاصل وقيل واسطى وقيل نيسابورى شيخ الصوفيه وصاحب كتاب البصاير وغيرہ من المصنفات فى علم التصوف أخذ العلم من القاضى ابى حامد المرورزى وأنما قيل له التوحيدى لأن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد وهو نوع من الثمر بالعراق ،طبقات الفقهاء ج 1 ص 217 .

ولم أقض حق العلم إن كان كلما . . . بدا مطمع صيرته لى سلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم. . . ولو عظموه فى النقوس لعظما [1]

خلاصه:

فى القرن الثالث الهجرى– التاسع الميلادى وهو القرن الذى شهد أكتمال المشروع السياسى للدولة العباسيه التى تعاقب عليها عدد من الحكام المشهورين فى بلاد ما وراء النهر فى سرخس بخرسان ولد محمد بن سهل السرخسى فى عصر العلم والمعرفة وفى وسط جمع كبير من مشائخ الأحناف والعلماء والفقهاء والمجتهدين وفى ظل تلك الحياة الاجتماعية والسياسة والاقتصادية والبيئة العلميه التى كان لها أثر كبير فى نشأة وتربى الإمام السرخسى مما وفر له طرق العلم وحفظ القرآن والفقه وكافة العلوم، فتنقل بين المدن فى بلاد مختلفة طالبا للعلم والفقه والمعرفة فى العلوم والرياضيات و الطب والفلك والفلسفة والفن والموسيقي وكان يعد من اوحد زمانه فى علمى النحو والشعر .

وحين ذاع صيتِه أُختير ليكون معلماً للمعتضد فى شبابه الأول فقد كان السرخسى متفنناً فى علوم القدماء والعرب وأدابهم كما كان حسن المعرفة جيد القريحه بديع اللسان.

وحين تولى **المعتضد الخلافة** وكان السرخسى من المقربين إليه نديمه مما جعله يوليه بعض المناصب فى الحكم وتولى الحسبه والمواريث وكان محبوباً لدى المعتضد وصاحب سره ومشورته فى كافة أمور الحكم وكان طيب القلب ولا يعرف المجاملة مما أدى إلى غضب حاشية المعتضد عليه فدبروا حيله جعلت المعتضد يغضب عليه ويأمر بسجنه ومصادرة أمواله فأراد

[1] المكتبة الإسلامية ، تراجم الإعلام دار المعرفة ، تاريخ ، 1409هـ / 1989م ، ط 5.

أزعاجه فى السجن وأمر بأن يدخل معه قس يزعجه ويعذبه، ولكن بالرغم من ذلك لم يثنيه عن التخلى عن العلم والكتابه كان طلابه لم يفتروا فى جلب القراطيس ليكتب من حفظه فى السجن فكتب كتابه المبسوط من حفظه وعدده ثلاثون مجلداً الذى جمع كل المسائل التى دونها الإمام الأعظم ومحمد وأبو يوسف وزفر وأعلام المذهب الذين لم يعبأ بكلامهم فالله در الكتاب ولله براعة عباراته ولطافة إشاراته، وتنبيهاته النافعه وتنويراته الساطعه والشاهده بعلو درجته وزيادة مزيته ولمؤلفه بسعة اطلاعه وطول باعه وطالما تشوق العلماء إلى بذوغ بدوره وتشرف الفقهاء إلى تشرف ثغره وبقيت النفوس والانظار متطلعه إلى طلعته بدوره الكامل، وليس الكتابه فقط بل كان يمارس الدعوة أيضا مماجعل أن يسلم القس الذى كان معه فى السجن لما وجد من السرخسى من خلق ودين وأمانه حتى قيل له أدخلناك معه لتزعجه فأسلمت فقال أن كان هذا محمدكم الصغير فكيف بمحمدكم الكبير.

وهذا دليل على إن العبد المؤمن لم تزيدة المحن والبلايا إلا تمسكاً وقوة وأبداعاً. كالسرخسي سجن وعذب أشد أنواع العذاب بالرغم من ذلك ألف المبسوط من ذاكرته من غير مراجعه فى السجن داخل جب .